

خلق الكون في القرآن والعلم

أ.د. محمد جميل الحبال / العراق -الموصل
استشاري الطب الباطني وامراض الكلية
عضو وزميل الكليات الطبية الملكية البريطانية (لندن)
باحث في التفسير العلمي و الطبي في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة الضبط الدقيق للكون وعلاقتها بمراحل نشأة الكون كما تشير إليها النصوص القرآنية، مع مقارنة ذلك بالمعطيات الحديثة في علم الكونيات والفيزياء الفلكية.

وقد أظهرت الدراسات المعاصرة أن الثوابت الفيزيائية الأساسية في الكون مضبوطة بدقة عالية للغاية، بحيث إن أي تغير طفيف فيها كان سيؤدي إلى عدم تشكل الكون أو استحالة ظهور الحياة فيه.

ويستعرض البحث آراء عدد من علماء الفيزياء الكونية حول هذه الظاهرة، مع تحليل الإشارات القرآنية المتعلقة بخلق السماوات والأرض ومراحله. ويخلص البحث إلى أن النظام الكوني الدقيق يشير إلى وجود تنظيم محكم في بنية الكون وقوانينه، الأمر الذي يدعو إلى مزيد من التأمل العلمي في العلاقة بين القرآن والعلم في فهم نشأة الكون، وإن القرآن هو السابق والعلم هو اللاحق وصولاً إلى أن هذا الكون قد خلق بأمر وتدير من الله سبحانه وتعالى.

مقدمة:

نشأة الكون وبنيته هو أحد أعظم الأسئلة التي شغلت الفكر الإنساني عبر العصور. وقد حاول العلماء والفلاسفة تفسير بداية الكون ونظامه وقوانينه، خاصة مع التطور الكبير في علوم الفيزياء الفلكية خلال القرن العشرين.

وقد توصل العلم الحديث إلى عدد من النظريات المهمة حول نشأة الكون، مثل نظرية الانفجار العظيم التي تشير إلى أن الكون بدأ من حالة شديدة الكثافة والحرارة قبل نحو 13.8 مليار سنة.

من ناحية أخرى، نجد أن القرآن الكريم قد تناول موضوع خلق الكون في آيات متعددة تدعو الإنسان إلى التأمل في نظام الكون ودقته.

وقد دفع ذلك كثيراً من الباحثين إلى دراسة العلاقة بين الآيات الكونية في القرآن الكريم والحقائق العلمية الحديثة. ويهدف هذا البحث إلى دراسة بعض الإشارات القرآنية المتعلقة بخلق الكون، ومقارنتها بما توصل إليه العلم الحديث، لإبراز ما في النص القرآني من دلالات علمية تدعو إلى التأمل في عظمة الخالق سبحانه وتعالى.

المبحث الأول : دعوة القرآن الكريم إلى النظر في الكون.

حث القرآن الكريم الإنسان على التأمل في الكون واكتشاف قوانينه. قال الله تعالى: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ (العنكبوت: 20). وقال تعالى: أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (الأعراف: 185). وقال تعالى: أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا (ق: 6). وقال تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (آل عمران: 190-191).

وهذه الآيات تحث وتشجع الإنسان على التفكير في بديع ودقة خلق الله للكون (السموات والارض) كما أكد المفسرون.

المبحث الثاني : بداية خلق الكون.

قال الله تعالى: **أولم ير الذين كفروا أن السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا (الأنبياء: 30).** وقد فسر الصحابي عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) هذه الآية بأن السماوات والأرض كانتا ملتصقتين ففصل الله بينهما. ويرى بعض الباحثين أن هذا المعنى يتوافق مع ما تقوله نظرية الانفجار العظيم التي اقترحها الفيزيائي البلجيكي جيورج لومتر استاذ الفيزياء وعلم الفلك في عام ١٩٢٧م.

اما قوله تعالى: **ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ (فصلت: 11).** فهي تشير إلى حقيقة كونية، حيث تؤكد أبحاث وكالة ناسا وعلماء الفلك ان صور تلسكوب سبيتز اثبتت أن الكون في مراحله الأولى كان مليئاً بسحب غازية ودخان كوني (جسيمات دقيقة) ناتجة عن الانفجارات النجمية، وليس غباراً كما كان يُعتقد سابقاً، وهو ما يطابق الوصف القرآني بكل دقة!

المبحث الثالث : توسع الكون.

اكتشف الفلكي الأمريكي ادوين هبل في عام ١٩٢٩م أن المجرات تبتعد عن بعضها، مما يدل على أن الكون في حالة توسع.

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (الذاريات: 47).** وبذلك سبق القرآن علم الفلك الذي كان يعتقد علماءه حتى القرن التاسع عشر وبداية العشرين الميلادي ان الكون ازلي ثابت لا يتوسع!

المبحث الرابع : الضبط الدقيق للكون.

(Fine Tuning of Universe)

تشير الدراسات الفيزيائية إلى أن ثوابت الكون مضبوطة بدقة شديدة تسمح بوجود الحياة. وقد ناقش هذه القضية الفيزيائي ستيفن هاوكينج وهذا يتفق مع قول الله تعالى: **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (القمر: 49).** وقوله تعالى: **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (النمل: 88).**

المبحث الخامس: الجمال في خلق الكون والنسبة الذهبية.

لا تقتصر عظمة القران في وجود اشارات علمية تشفى نهم العلماء كل في تخصصه وانما ايضا يتجلى الجمال في الكون من خلال التناغم والتناسق في مكوناته. قال الله تعالى: **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (السجدة: 7).** وقد ورد في الحديث: إن الله جميل يحب الجمال (رواه مسلم) فالباري عزوجل له مطلق الجمال كما له مطلق الجلال والكمال ايضا.

ومن مظاهر الجمال في الطبيعة ما يعرف بالنسبة الذهبية التي تبلغ 1.618 وقد درسها ووثقها عالم الرياضيات الايطالى ليوناردو فيبوناتشى عام 1200م.

ان وجود هذه النسبة الذهبية منذ قديم الازل من قبل خلق الانسان يتثبت انها هبة من الله وليس للبشر اى دور فيها غير انه اكتشف وجودها. اما وجودها فى جميع المخلوقات فهو دليل واضح على وحدانية الخالق وعظمة سلطانه الذي ترك بصمة من ماله على خلقه سبحانه وتعالى.

المبحث السادس: تحقق الجمال في خلق الكون وتدييره والنسبة الذهبية في

ضوء آية الكرسي (البقرة: ٢٥٥ وآية الأعراف: 54).

تعد آية الكرسي من أعظم آيات القرآن الكريم، وقد ورد في فضلها حديث صحيح عندما سأل النبي ﷺ الصحابي ابى بن كعب رضي الله عنه أتدري أي آية في كتاب الله معك

أَعْظَمَ؟ قَالَ: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ فَضْرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِهِ وَقَالَ: لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا
الْمِنْذِرِ (صحيح مسلم).

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا
يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة: 255).

وتتضمن هذه الآية معاني عظيمة تتعلق بخلق الكون وتدبيره واستمرارية نظامه ومنها:

أولاً: الإشارة إلى خلق السماوات والأرض واستمرار التدبير الكوني في آية الكرسي:

تتضمن آية الكرسي إشارتين إلى السماوات والأرض ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ﴾. ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾. ويرى بعض الباحثين أن ذكر السماوات
والأرض في الآية مرتين يشير إلى حقيقتين أساسيتين الأولى بداية الخلق وما فيه من
ملك الله المطلق للكون. وكذلك استمرار التدبير الكوني وهيمنة القدرة الإلهية على
نظام الكون.

أما قوله تعالى: وسع كرسية السماوات والأرض. فيدل على عظمة ملك الله واتساع
سلطانه في الكون كله كما ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره.

ثانياً: معنى القيومية وتدبير الكون:

من أهم صفات الله المذكورة في آية الكرسي قوله تعالى ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ والقيوم يعني
القائم بتدبير الكون والمحافظة على نظامه. وقد فسر الإمام محمد بن جرير الطبري
القيوم بأنه القائم على كل شيء بتدبيره وحفظه. وهذا المفهوم يتوافق مع ما تكشفه

الفيزياء الحديثة من وجود قوانين دقيقة تحكم حركة الكون مثل قوانين الجاذبية وقوانين الحركة والثوابت الكونية الدقيقة.

ثالثاً: الخلق والأمر في (آية الأعراف: ٥٤):

قال الله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (الأعراف: 54).

وتتضمن هذه الآية ايضاً حقيقتين أساسيتين كما في آية الكرسي. وهى الخلق وهو إيجاد الكون من العدم. والأمر وهو تدبير الكون وتنظيم قوانينه

وقد أشار كثير من المفسرين إلى أن عبارة **﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾** تعني أن الله تعالى كما هو خالق الكون فإنه ايضاً المدبر لنظامه وقوانينه وحفظه.

رابعاً: الدلالة الكونية للخلق والتدبير:

تكشف الدراسات الحديثة أن الكون لا يقوم فقط على حدث البداية، بل يعتمد أيضاً على استمرار انتظام القوانين الكونية التي تحفظ استقراره فلو اختلفت هذه القوانين قليلاً لتغيرت بنية الكون.

ومن هنا يمكن فهم الآية الكريمة **﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾** على أنها تشير إلى أن الخالق سبحانه هو الذي أوجد الكون وأقام نظامه الدقيق الذي يحكم حركة المجرات والنجوم والكواكب.

خامساً: النسبة الذهبية في ضوء الآيتين آية الكرسي: البقرة 255. وآية

الأعراف: 54:

تدور معانى الآيتين حول بداية الخلق و الأمر بتدبيره وضبطه وكماله وجماله فضلا عن قوله تعالى: ﴿أولم ير الذين كفروا أن السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: 30). حيث سيناريو بدء الخلق الرتق والفتق وجعل الماء اساس الحياة وفضلا عن ذلك فإن الآيتين موضوعتا البحث (البقرة الآية ٢٥٥ والاعراف الآية ٥٤). تدلان على ذلك المعنى ايضا بالاضافة الى تمثيل النسبة الذهبية فيهما وصولاً الى إتفاق المعنى الكوني العلمي مع المعنى المعنوي الجمالي وذلك من حيث عدد كلماتهما كما جاء في كتابنا (الجمال في القرآن - النسبة الذهبية في آيات المثاني الفرآنية أنموذجا) و كما يلي:

عدد كلمات آية الكرسي من سورة البقرة ٥٠ كلمة.

وعدد كلمات آية الخلق والامر من سورة الأعراف ٣٢ كلمة.

فيكون الناتج كما يلي:

$$50 / 32 = 1.56$$

$$50 + 32 = 82$$

$$82 / 50 = 1.64$$

$$1.56 + 1.64 = 3.2$$

$$3.2 / 2 = 1.6$$

فسبحان الله تحقق فيهما الجمال العددي المعنوي و الكوني المادي أيضا وصولا الي دقة خلق الكون وكماله وجماله من الخالق بديع السموات والارض. قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الفرقان: 6).

سادسا: يتبين من خلال هذا المبحث ما يلي:

- 1- تضمنت آية الكرسي إشارات إلى ملك الله للسموات والأرض واتساع سلطانه.
- 2- القيومية صفة تدل على استمرار تدبير الله للكون.
- 3- التدبير في آية الأعراف رقم 54 جمعت بين حقيقتين عظيمتين: الخلق والامر.
- 4- النظام الكوني الدقيق الذي يدرسه العلم الحديث يعكس معنى التدبير الإلهي المستمر للكون.

الخاتمة:

اولا: هذا الموضوع لا نهاية له فالإشارات القرآنية ذات المدلولات العلمية لا تكاد تحصى وبناء على ذلك فحسبنا ما اشرنا اليه باختصار فى هذا البحث.

ثانيا: توصل هذا البحث إلى النتائج الآتية:

- 1- القرآن الكريم يدعو الإنسان إلى دراسة الكون والتفكر في نظامه.
- 2- تشير بعض الآيات القرآنية إلى حقائق كونية اكتشفها العلم الحديث.
- 3- الكون يتميز بالدقة الرياضية والجمال والتناغم.
- 4- الضبط الدقيق للكون يدل على حكمة الخالق وعظمته.
- 5- القرآن هو السابق والعلم هو اللاحق ولا يوجد تعارض بين حقيقة علمية ونص شرعي قطعي الدلالة. لان الذي انزل القرآن سبحانه وتعالى هو الذي خلق الكون والإنسان فلا بد أن يتطابقا ويفسر احدهما الاخر! فاذا حصل اختلاف بينهما فان تفسير ذلك هو اما ان

الحقيقية العلمية ليست بحقيقة ناضجة وانما فى مرحلة النظريات المتغيرة او ان فهمنا وتفسيرنا البشرى للنص غير صحيح!

والحمد لله رب العالمين.

اهم المراجع والمصادر:

1- القرآن الكريم

2- ابن كثير - تفسير القرآن العظيم

3- الطبري - جامع البيان في تفسير القرآن

4- محمد باسل الطائي /صيرورة الكون: مدارج العلم ومعارج الإيمان - دار نيوبوك

للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية ٢٠٢٣م

5- محمد جميل الحبال / الجمال في القرآن - النسبة الذهبية في آيات المثاني القرآنية

انموذجاً - مكتبة التفسير / اربيل ٢٠٢٤م

Stephen Hawking, A Brief History of Time.

Albert Einstein, Relativity.

Edwin Hubble, The Expanding Universe.

Stephen Hawking - A Brief History of Time

Paul Davies - The Goldilocks Enigma

Barrow&Tipler – The Anthropic Cosmological Principle

الموصل / ٢٤ رمضان المبارك ١٤٤٧ هجرية - ١٣ اذار ٢٠٢٦ ميلادية.